الرحـــــــــــى العجيبة

د. بنشملال ريدال *

محمد شاب أسمر اللون متزوج من امرأة اسمها: "العالية" ولديهما ابنان. يحبهم ويعمل جاهدا من أجل إرضائهم. عمل في ميادين شتى؛ في الفلاحة والحدادة وفي النجارة والتجارة... صادف أناسا كثر, جمع معلومات كثيرة حول الأحجار الكريمة التي تباع بأثمنة خيالية, فقرر البحث عنها بسرية. بحيث كان يذهب إلى أماكن وقوع صوت البرق للبحث عن رصاصة, كما كان يشد الرحال طويلا إلى الصحراء للبحث عن "النيزك" كلما أخبره أحد أصدقائه أو سمع بذلك عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

* أستاذ التعليم الثانوي (باحث في سلك الدكتوراه), جامعة محمد الخامس – الرباط, المغرب.

رحلة البحث عن النيزك

- الراضي: أخبرتُ قبيل قليل أن نيزكا سقط في صحراء مرزوكا. ما رأيك في شد الرحال؟

- محمد: في نظرك كم ستستغرق الرحلة من وقت؟

- الراضي: ما يقارب خمس ساعات.

- محمد: علينا اكتراء سيارة ما وسنغادر بعد صلاة الفجر.

- الراضي: لنذهب حالا.

- الشاب: (أقبل عليهم شاب في مقتبل العمر يبدو أنه يعرفهما) السلام عليكما يا شباب, ما رأيكما في شرب الشاي عند عمي علي.

- الراضي: (غير الموضوع مع ابراهيم) ما الذي فعلته مع صاحب الباب الذي وجدته معك أمس؟

- محمد: أتممت عمله هذا الصباح, لكنني لم أتلق أي نقود إلى الآن.

ما أخبارك؟ (يخاطب الشاب)

- الشاب: تجولت في السوق ريثما أجد بعض السلع لكي أعيد فيها البيع.

- محمد: ألا تنتهي من عملك هذا؟

- الشاب: (أيقن أنهما لن يذهبا معه, وتركهما متجها صوب المقهى).

- محمد: (مخاطبا الراضي بابتسامة) هيا لنكتري السيارة من عند صاحبنا...

وفي الغد بعد صلاة الفجر, ركبا السيارة متجهين نحو مرزوكا (للبحث عن النيزك, وبعد خمس ساعات من المسير وصلا إلى المكان المعهود ووجداه مزدحما بالسيارات والناس قد تفرقوا في كل مكان يفتشون واضعين أعينهـــــم في

الأرض كأن رؤوسهم مثقلة بشيء لا تستطيع الاستقامة, أو شدت وجوههم إلى صدورهم قسرا ومن رفع رأسه قطع بسهم أو ضرب برصاصة.

- الراضي: هيا اذهب في هذا الاتجاه وأنا سأذهب في هذا الاتجاه (مشيرا إلى اتجاهين مختلفين).

- محمد: متى نلتقي؟

- الراضي: عندما أتصل بك, وإذا وجد أحدنا شيئا فليتصل بالآخر.

(افترقا وصار كل واحد منهما في اتجاه معاكس للآخر, وبعد قرابة ساعة من المشي والبحث, ها هو رجل يبدو في مرحلة الكهولة من عمره يقترب من محمد).

- الرجل: السلام عليكم. قد مررت من هنا صباحا ولم أجد شيئا, لا تفرغ طاقتك هنا, اذهب إلى مكان آخر.

- محمد: عليكم السلام؛ رغم مرورك من هنا إلا أنك قد تخطئه في أي مكان.

- الرجل: معك حق إذا كان من نصيبك شيء ستجده ولو مر عليه الناس جميعا.

- محمد: أكيد, فالأرزاق مقدرة.

- الرجل: اسمي علال.

- محمد: تشرفت بك.... محمد.

- علال: أ لديك الخبرة بهذه المعادن؟ (أردف قائلا) أقصد هل تعرف من يشتري هذه المعادن؟ وثمنها؟

- محمد: (مبتسما) "حتى يتزاد ونسميوه سعيد"[١]. لماذا سأبحث عن الشاري ما دمت لم أجد شيئا؟

- علال: يبدو لي أنك حديث الخبرة بهذا المجال.

- محمد: بالطبع, أنا فقط شجعني أحد أصدقائي إنه معي (مشيرا إلى مكان تواجد الراضي).

- علال: عليك أن تعرف أن هذا المجال إذا منحته اهتمامك ستصير غنيا لا محالة, هناك معادن شتى ومختلفة تساوي الملايين...

- محمد: (يظهر عليه أنه غير مهتم بكلام علال) لكن أين ستجد هذه المعادن كلها؟

- علال: هي موجودة, فقط ينبغي عليك البحث. أَسمعتَ بالرحى التقليدية التي يلتصق بها المغناطيس, والقنينة كذلك.

- محمد: (يظهر أنه انجذب إلى كلام علال) كيف ذلك؟

- علال: هناك قنينة ورحى تقليدية يلتصق عليها المغناطيس لكل واحدة منها ملايين الدراهيم.

- محمد: (تذكر أن لديه رحى تقليدية عند أمه في القرية كانت تستعملها عندما كانوا صغارا في القرية, وتغيرت ملامح وجهه وتكلم بصوت مختلف عن البداية) كيف يمكن لي أن أعرف ذلك؟ ربما سأذهب إلى القرية لأبحث هناك.

[١] - مثل مغربي.

- علال: ما عليك فقط هو أن تجد هذه الرحى ثم تقوم بمد المغناطيس إلى الرحى وستلتصق بها, كما يمكنك وضع بعض قطرات خل التفاح عليها وسيحدث تفاعلا كيميائيا عليها.

- محمد: حسنا, وما قصة القنينة؟

- علال: القنينة يقال إنها تحتوي في قاعها على أغلى أنواع المعادن وهو "الزئبق" وتباع بثمن خيالي مثل الرحى.

- محمد: (تبدو له هذه الأشياء خيالية مستحيلة الوقوع, أعاد وجهه إلى الأرض يبحث عما كان يبحث عنه, لكنه تكلم فجأة) اترك لي رقم هاتفك وإن وجدت شيئا سأتصل بك.

- علال: حسنا (أخذ الهاتف من عنده وسجل عليه رقم هاتفه وأعاده إليه وحياه ثم غادر المكان. وبعد ساعة بدأ هاتف محمد يرن).

- محمد: آآآآلووو .... الراضي هذا؟ ...

- الراضي: أين أنت هل وجدت شيئا؟

- محمد: لازلت في مكاني أبحث عن الفراغ ولا أجده.

- الراضي: حسنا: سنعود أدراجنا, قد حل المساء, ربما قد فاز به من أتى باكرا.

- محمد: سأذهب وانتظرك أمام السيارة.

- الراضي: أنا آت وسنلتقي.

(وبعد مرور نصف ساعة من الزمن ها هو الراضي يعود حاملا معه أرنبا)

الراضي: (مبتسما) على أية حال أخذت نصيبي.

- محمد: كيف فعلت معه؟

- الراضي: (ابتسم وأخرج من تحت ابطه مسدسا وترك ابراهيم مشدوها) لا تحسبن الذهاب إلى البحث عن المعادن أمرا هينا. إذا لم تكن لديك القوة الكافية الجسمية وجب أن يكون لديك سلاح لا قدر الله أن يعتري طريقك لصوص أو قطاع طرق أثناء عودتك ظانين أنك قد وجدت شيئا في هذه الصحراء الخالية.

- محمد: (بقي مصدوما ولم ينبس ببنت شفة)

- الراضي: هيا اركب علينا المغادرة حالا.

(عند وصولهما إلى المدينة, قرر الراضي أن يرافقه محمد إلى منزله قصد العشاء الذي جلباه معهما فرفض وقال)

- محمد: علي الذهاب إلى القرية لزيارة أمي (قال هذا بعد أن فكر كثيرا في كلام علال).

ذهاب محمد إلى القرية

(وفي الصباح أخبر محمد زوجته بأنه سيذهب إلى القرية لزيارة أمه...

ها هو ابراهيم يأتي وتستقبله أمه ...)

- رقية: كيف حالك يا ولدي, ظننت أنك نسيت زيارتي بعد هذه المدة الطويلة, منذ السنة الماضية لم تطأ قدمك بيت من يتقطع قلبها تجاهك شهرا بعد شهر بل يوما بعد يوم...

- محمد: سامحيني يا أمي, تعلمين كثرة الأشغال في المدينة؛ إذا لم تشتغل كل يوم لن تستطيع توفير قوت أولادك.

- رقية: إذا لماذا لا تعود إلى هنا يا ولدي, وستشتري بعض المواشي وتهتم بها لكي تعود عليك بالنفع.

- محمد: الأمر ليس بيدي يا أمي؛ تعلمين أن نساء اليوم لم تعد لديهم القدرة على البقاء في القرية ولو لدقيقة واحدة.

- رقية: أعلم ذلك يا بني ولكن ما عليك إلا الصبر.

- محمد: (بدأ يفكر في كيفية البدء في موضوع الرحى, لكنه قرر تأجيل مناقشة الأمر حتى المساء)

(وعند حلول المساء كانت الأم منهمكة في إعداد العشاء)

- محمد: أريد أن أسألك يا أمي عن الرحى التي كنت تستعملينها عندما كنا صغارا؟

- رقية: عن أي رحى تتحدث يا بني وأنا قد منحتها لعمتك فاطمة منذ تسع سنوات مضت؟

- محمد: كيف ذلك؟ لم فعلت ذلك يا أمي؟ لم تخبريني بذلك؟

- رقية: ما الداعي لإخبارك يا ولدي, إنها مجرد حجر كان قد أخذ موضعا من ركن المنزل فتخلصت منه.

- محمد: (بدا على وجهه نوع من الحزن والكآبة) لا يا أمي لا لا....

- رقية: ما الذي أغضبك يا ولدي؟

- محمد: هل تعلمين يا أمي أن أحد أصدقائي أخبرني أن هناك بعضا من أنواع هذه الرحى قد يصبح صاحبه من أثرياء البلد.

- رقية: قل لي من ولج إلى عقلك وأكله ولعب بأفكارك؟ وأصبحت عديم التفكير, كيف لحجر أن يباع بثمن باهظ؟ أظن أنه حتى ولو وجده أحدنا في طريقه لن يضيع جهده حتى لإزالته فما بالك بأخذه معه؟

- محمد: (غابت عنه الكلمات وأصبح يفكر في كيفية إقناع أمه بالذهاب إلى عمته بغية جلب الرحى في هذه الوقت قبل حلول الصباح) عليك بالذهاب إلى عمتي يا أمي لعلها لم تعطه لأحد مثلما فعلت.

- رقية: اصبر يا بني حتى يحل الصباح.

- محمد: لا أريد أن يراك أحد وأنت تجلبينها يا أمي, إني أتحدث معك بجد, إن صدقت تلك التجربة التي أخبرني بها أحد الأصدقاء فسنصبح أغنياء لا محالة.

- رقية: حسنا يا بني لعل جزءا مما قلت سيصيبنا إن شاء الله.(ثم نهضت من مكانها وكلفت ابنتها لإتمام العشاء وغادرت صوب فاطمة التي لا يبعد منزلها إلا ببعض أمتار).

- فاطمة: (كانت منهمكة في الحديث مع أبنائها وزوجها مجتمعين حول مائدة الأكل؛ فإذا بالباب يدق, وفجأة أسرعت بنت فاطمة نحو الباب)

- البنت: خالتي رقية تفضلي (فسلمت عليها)

- رقية: (دخلت فسلمت على الجميع)

- فاطمة: اجلسي وتناولي معنا العشاء.

- رقية: لا أستطيع, لقد قدم اليوم محمد من المدينة؛ ويعاني من ألم في المعدة, فجئت إلى الرحى لكي أعد له وجبة من الشعير ريثما تخفف عنه الألم.

- فاطمة: هل هو على ما يرام, سأذهب معك لرؤيته.

- رقية: لا داعي يا فاطمة, اترك الأمر إلى الصباح لأنه نائم ولا أريد إزعاجه, أريد فقط أن أعد له وجبة وأنتظره حتى يستيقظ متى أراد.

- فاطمة: (جلبت الرحى ووضعتها في كيس ثم مدتها إلى رقية وهي تدعي لمحمد بالشفاء) شفاه الله مسكين, كثرة العمل والأشغال في المدينة أرهقته... لعل ذلك عينا أصيب بها في المدينة... أو قد يكون سحرا من طرف الزوجة قصد المكوث في المدينة. والله أعلم, ربنا يحفظه.

- رقية: (أحنت رأسها كأنها متأثرة من كلام فاطمة فشكرتها فغادرت المنزل, وعندما دخلت المنزل وجدت محمدا مستلقيا في مكانه منتظرا عودتها)

- ابراهيم: الحمد لله جلبتها يا أمي كنت ستفرطين في كنز ثمين لم نكن نعلم عنه شيئا.

دعينا نجرب التجربة فورا قبل العشاء.

- رقية: (ألحَّت عليه بأن يترك التجربة ريثما ينتهي من العشاء) انتظر يا محمد ريثما تضع في معدتك بعضا مما طهته أمك وأختك.

- محمد: دعينا يا أمي نقوم بالتجربة لكي نعرف ما كنا نخبئه من سنين, وما كنت ستفرطين فيه.

- الأخت: هيا يا أمي اتركيه يفعل ما يشاء (أومأت إليه قصد تفعيل التجربة).

- محمد: (أخرج كيسا من جيبه, يبدو وكأنه تباخير من تلك التباخير التي تحصل عليها النساء من عند العرافين؛ فإذا به يفتحه ويخرج منه مغناطيس أسود وبدأ يحركه تجاه الرحى؛ حتى سقط وأغمي عليه)

رقية: (تأتي إليه بالماء وترشه بالماء وتردد): اللهم أحينا فقراء... اللهم أحينا فقراء... اللهم أحينا فقراء.

(فإذا بمحمد يستفيق)

- ابراهيم: أين هي؟ أين هي ...؟

- الأخت: ثبت نفسك يا أخي لم تفعل بعد أي شيء.

- محمد: والله لقد نجحت التجربة, الكنز عندنا في المنزل, وأنا أعمل بدريهمات عند عديمي الأصل. (وراح يردد): - كادت أمي أن تفرط في الكنز... كادت أمي أن تفرط في الكنز... كادت أمي أن تفرط في الكنز...

- رقية: هداك الله يا بني, ثبت نفسك, لحد الآن لم أصدق هذه الخرافات. من شوش عقلك بهذا؟ أجدادنا وآباؤنا كلهم كانوا يملكون هذا الحجر ولم يصبهم من الذي تزعم شيء.

- محمد: أنا لا أزعم يا أمي إني أتكلم بصدق, إننا سنصبح أغنياء...

(وفي اللحظة التي كان يتحدث فيها محمد مع أمه أعدت الأخت العشاء)

- الأخت: تعالوا, أخي تعال...

- محمد: والله لن أتذوق النعمة حتى أصل صديقي الذي حدثتكم عنه... الآن قد شبعت...

(بدأ محمد يدور في البيت يتفوه بكلمات غير مفهومة)

- محمد: أنت .... هنا ... الرزق هنا.... وأنا تائه في المدينة...

(أرغمته أمه على الجلوس إلى طاولة الأكل, فأبلع كسرة من الخبز ونهض من مكانه تجاه الكيس الذي توجد فيه الرحى).

- رقية: اذهب يا بني لتستريح حتى يحل الصباح كي تذهب في أمان.
- محمد: لو كان بإمكاني الذهاب الآن لذهبت لكن لن أجد أية وسيلة للنقل.

(فذهب إلى البيت كي ينام فأخذ معه الكيس، ولم يستطع النوم، بات عقله مشغولا بأمر الرحى العجيبة، حتى رن هاتفه الذي كان قد شغله قصد إيقاظه، وعند حلول الفجر غادر البيت دون أن يودع والدته وأخته متجها صوب المدينة).

جلب الرحى إلى المدينة

(عند اقترابه من المدينة أخرج الهاتف من جيبه واتصل بعلال)

- علال: أللووو... السلام عليكم من معي.
- محمد: معك محمد، ألم تعرفني؟
- علال: صوتك مألوف لدي، لكني لم أتذكرك بعد.
- محمد: معك محمد الذي التقيته أثناء البحث عن النيزك في مرزوكة...
- علال: آآآ... آه، تذكرتك، كيف حالك؟ ما الذي جعلك تغيب هنا لهذه المدة كاملة؟
- محمد: كنت مشغولا في هذه الأيام، لذلك لم أتصل بك. أود رؤيتك في هذا الصباح مهما كانت ظروفك.
- علال: أراك مستعجلا، أخبرني ما سبب ذلك؟
- محمد: ستعرف حين اللقاء. قل لي أين سنلتقي؟

- علال: عليك بالقدوم عندي وسنلتقي في شارع محمد الخامس، واتصل بي عندما تصل.
- محمد: حسنا.

(وعند نزول محمد في المدينة، قام بأخذ سيارة الأجرة نحو شارع محمد الخامس حاملا معه الكيس، وعندما وصل اتصل بعلال)

- علال: آآآلو إني أمامك...
- محمد: دعنا نختصر الحديث، تلك الأمانة التي تحدثنا عنها هي موجودة عندي.

رقية استيقظت على صوت طرق الباب

- رقية: (استيقظت على دقات الباب) من بالباب؟
- فاطمة: افتحي يا رقية...
- رقية: ظننت أن محمدا قد استيقظ (كان بيت الضيافة الذي نام فيه خارج البيت)
- فاطمة: ألم يستيقظ بعد؟ عند حلول الفجر سمعت الكلاب تنبح بشدة ظننت أن اللصوص قد حلوا بالقرية.
- رقية: حفظنا الله وحفظ بلادنا.
- فاطمة: كيف صارت حالة محمد؟ هل تحسنت قليلا؟ جئت كي أراه.
- رقية: فلنذهب لرؤيته في البيت إنه نائم في بيت الضيافة.

(طرقتا الباب مرات عديدة دون إجابة، فذهبت رقية لإحضار المفتاح، وقد بدأت تفكر بأنه قد غادر في الفترة التي سمعت فيها فاطمة نباح الكلاب)

- رقية: إنه تعب من كثرة المشي والهم، استيقظ يا بني.

(وعندما فتحتا الباب لم تجدا سوى فراشه)

- رقية: أمااااه أين ذهب ولدي.

- فاطمة: ربما قد يكون خارج البيت.

- رقية: لو كان هنا لأيقظني، هذا ليس من عاداته (رغم صراخها هذا إلا أنها مطمئنة لأنها تعلم أنه قد ذهب بالرحى إلى المدينة)

- الأخت: سأتصل به يا أمي (ربطت الاتصال بهاتفه)

- محمد: (كان منهمكا في الحديث مع علال) أللووو... إني مشغول حاليا سأتصل بك بعد حين.

- علال: ما الأمانة يا ابراهيم أنا لم أكن أنتظر منك أية أمانة.

- محمد: ألم تخبرني بالرحى التي تساوي الملايين، إني قد وجدتها.

- علال: (تغير لون وجهه وشحب) وجدتها كيف؟ هل جربت عليها تلك العلامات التي أخبرتك بها؟

- محمد: كل التجارب نجحت.

- علال: هيا بنا لنذهب إلى منزلي لنجرب هناك بعيدا عن مرأى الناس.

(عندما وصلا إلى المنزل أدخله علال إلى الصالون) تفضل سأحضر اللوازم لكي نقوم بالتجربة.

(أحضر علال قارورة خل التفاح وقطعة المغناطيس, وأخرج محمد تلك الرحى من الكيس ويداه ترتجفان).

- علال: (يضع المغناطيس على الرحى) ياه والله لقد صدقت, دعني أجرب الخل والنخالة.

(وضع تلك الأشياء عليها فإذا ببخار يصعد إلى السماء, ويدا محمد زادت ارتجافا وكاد أن يغمي عليه)

- علال: والله إنها الرحى المطلوبة في السوق, أغناك الله يا محمد.

- محمد: دعنا لا نضيع الوقت, يجب علينا أن نسرع في عملية البيع.

- علال: انتظر, يجب علينا أولا أن نتصل بالذي سيشتري علينا... (واضعا يده في جيبه لإخراج الهاتف).

ألووو... سي محمد...

- سي محمد: ألوو السلام عليكم... من معي؟

- علال: معك علال... الذي اشتريت منه أحجار النيزك في السنة الماضية. أنسيت ذلك؟

- سي محمد: اه... أعذرني يا علال, الآن عرفتك, كيف حالك؟ هل من جديد؟

- علال: بالطبع, التقيت برجل ووجدت عنده الرحى العجيبة التي حدثتني عنها.

- سي محمد: ما شاء الله, هل قمت باللازم؟

- علال: أكيد, كل التجارب تمت بنجاح...

- سي محمد: يجب علينا أن نلتقي.

- علال: متى؟

- سي محمد: صباح يوم الجمعة إن شاء الله (وكان ذلك يوم الثلاثاء)
- محمد: لماذا لم تطلب منه أن نلتقي غدا؟
- علال: انتظر سأتصل برجل آخر.
- أبو جعفر: ألو... السلام عليكم أخي علال كيف حالك؟
- علال: ولله الحمد, أين أنت؟
- أبو جعفر: أنا خارج المغرب لكن سأعود في هذه الأيام إن شاء الله.
- علال: لقد وجدت الأمانة التي تحدثنا حولها في المحمدية عندما التقينا مؤخرا. صاحبها يطلب مائتي مليون.
- أبو جعفر: هل تأكدت من التجارب التي أخبرتك بها.
- علال: بالطبع, رأيت ذلك بعيني.
- أبو جعفر: إذن فحاول إقناع الرجل لكي يخفض الثمن قليلا.
- علال: يقول إنه سمع أناسا يمنحون أكثر مما طلب.
- أبو جعفر: مهما حصل اتركوها إلى حين قدومي إلى المغرب وسنبحث عن ثمن يرضينا جميعا.
- علال: إن شاء الله هذا حل جيد.
- محمد: رأيتك الآن تعطي الكلمة لمن هب ودب, لديك رحى واحدة.
- علال: اسكت, هذه هي سياسة التجارة.

اللقاء مع سي محمد

(جاء محمد وعلال إلى مقهى خارج المدينة ينتظران قدوم سي محمد, فإذا برجل ذي قامة طويلة يرتدي جلبابا أسود وعمامة حمراء تبدو عليه ملامح الثراء).

- سي محمد: السلام عليكم.
- علال: عليكم السلام (مقدما اياه إلى محمد) هذا هو سي محمد الذي حدثناه في الهاتف.
- محمد: (مد يده إلى سي محمد لكي يسلم عليه) مرحبا سي محمد.
- سي محمد: أين الأمانة؟ ...
- محمد: يجب الحديث عن الثمن أولا.
- سي محمد: كم تطلبون؟
- محمد: نطلب ثلاث مائة (تفوه بهذا العدد بعد أن فكر بأنه ضمن مائتي مليون من أبي جعفر الذي يتواجد خارج المغرب).
- سي محمد: إذن دعنا نتأكد وسنتكلم لاحقا عن الثمن.
- علال: أين سنقوم بذلك؟
- سي محمد: سنذهب إلى شارع خال, في سيارتي.
- علال: (مخاطبا محمد) تعال, هيا بنا.
- سي محمد: (بعدما وصلوا إلى شارع يبدو عليه أنه خال من المارة أشار إلى محمد بإزالة الكيس عن الرحى) خذ هذا الخل وضعه عليها.
- محمد: (ويداه ترتجفان كالعادة يكب قليلا من الخل عليها) بخار يتصاعد إلى السماء... الحمد لله والشكر لله.

- سي محمد: (أخرج المغناطيس من جيبه ومد به إلى الرحى فإذا به يُنتزع من يده بقوة عجيبة تجاه هذه الرحى العجيبة) – فعلا إنها الرحى المطلوبة في السوق.
- محمد: الآن تأكدت بنفسك, دعنا لا نطيل الأمر, متى ستأتي بالنقود؟
- سي محمد: مهلا مهلا يا....
- علال: محمد.
- سي محمد: مهلا يا محمد , نحن لم نتفق بعد عن الثمن.
- محمد: أخبرتك في المقهى.
- سي محمد: دعني الآن أذهب إلى الرئيس المباشر الذي أشتغل معه وأخبره بهذا وسأرد عليكم قريبا.
- محمد: إذا لم تكن كافيا فلماذا جئت وحدك من البداية؟ ...

(أعادهما سي محمد إلى المقهى ثم تركهما)

صباح يوم سبت مشمس

(في صباح يوم السبت كان محمد نائما وضوء الشمس يطل بين ضلفتي النافذة, فإذا بأحد يطرق الباب, في الوقت الذي كانت فيه زوجته منهمكة في إعداد وجبة الفطور, فأسرع إلى الباب)

- الرجل: (فإذا برجل يرتدي ملابس فاخرة, تفوح منه رائحة مسك عطرة) السلام عليكم, بيت محمد؟

- محمد: (مندهشا) نعم, أنه هو بشحمه ولحمه.

- الرجل: أنا أشتري المعادن, وقد أُخبرتُ أن لديك رحى, فجئت إليك إذا لم يكن لديك مانع.

- محمد: (فكر أنه قد يكون علال هو الذي اتصل به, كما فكر من زاوية أخرى لكي يبيع في هذه اللحظة خير له من انتظار زبناء علال الذين يؤجلون الأمر في كل لحظة). نعم تفضل سيدي.

(أدخله إلى بيت الضيافة وذهب مسرعا إلى زوجته لكي تعد الفطور)

- الرجل: هيا اجلب الرحى ليس لدينا متسع من الوقت.

- محمد: انتظر ريثما نتناول وجبة الفطور.

- الرجل: (يبدو عليه أنه مستعجلا) لا لا هذا الأمر يحتاج إلى الإسراع لأن لدي مزيدا من الأشغال علي القيام بها.

- محمد: حسنا (ذهب إلى حيث يدس الكيس تحت سرير نومه)

- الرجل: من أين لك بهذه الرحى؟

- محمد: كانت عندنا في البادية حتى سمعت بأن هناك من يشتريها.

- الرجل: (واضعا المغناطيس في يده, فإذا به يجره نحو الرحى) فعلا إنها الرحى المطلوبة في السوق. كم تطلب فيها؟

- محمد: ٣٥٠ مليونا.

- الرجل: (يخرج من جيبه بطاقة تشير إلى كونه من رجال الأمن, ثم أخرج المسدس من "شكارته").

- محمد: (زاد ارتجافا وشحب لونه حتى كاد أن يغمي عليه, ظن بأنه سيأخذ منه تلك الرحى بعد المعاناة التي قضاها معها, وكثرة النقود التي صرفها في التنقل)

- الرجل: انظر؛ أنا هنا ليس لإيذائك أو للتعدي على ممتلكاتك, أنا قدِمت كي أنصحك وليس قصد الشراء.

احذر من هذه الرحى ربما ستجلب لك مشاكل كثيرة كنت في غنى عنها قبل التفكير في هذه الحجرة العجيبة, وربما قد جلبت لك مشاكل مرت, وربما سيأتيك من كل مكان من هب ودب.

ربما ستتعرض للمطاردة في الشارع من طرف اللصوص كما يمكنك أن تصبح بضاعة تباع في أسواق اللصوص فاحذر... وإن بعتها (تحدث بنبرة أكثر حدة) يجب عليك أن تبقى على هذه الحالة؛ لا تفكر في شراء منزل, ولا في شراء سيارة فاخرة, ولا في شراء أرض... لأنك في الأخير ستُحاسب على كل شيء. (ثم نهض من مكانه متجها صوب الباب) احذر يا محمد.

- محمد: (لم ينبس ببنت شفة, رافقه إلى الباب مذعورا).

- خديجة: (زوجة ابراهيم) ما لي أراك هكذا مدعورا؟ قل لي ما بك يا محمد ؟ تكلم.

- محمد: مصيبة, مصيبة, مصيبة ...

- خديجة: أخبرني ما الأمر؟

- محمد: سيتعذر علي بيع هذا الحجر.

- خديجة: كيف ذلك؟ ألم يأت هذا الرجل لشرائها؟ إلى متى ستبقى تطلب ثمنا باهظا يا محمد ؟ ألا تكفيك ملايين قليلة؟ متى كنت قادرا على حساب تلك الأموال

التي ترغب فيها؟ إني أخاف عليك يوم ستقوم بالقبض على تلك النقود ستتهور, وربما ستصاب بجلطة, لا قدر الله...

- محمد: أففف... الأمر ليس في النقود يا خديجة, الأمور أصبحت معقدة أكثر... القضية وصلت إلى السلطات ألا يكفيك هذا؟

- خديجة: اشرح لي ... كيف؟

- محمد: هذا رجل دولة يحذرني من امتلاك ذلك القدر الكبير من المال, وقد حذرني من أشياء كثيرة.

- خديجة: والله لن أرتاح حتى تبيع تلك الرحى بآلاف قليلة وتبعد شرها عنا لكي تعود حياتنا إلى طبيعتها.

- محمد: سأعمل على التخلص منها عما قريب.

خدعة البيع والشراء

(بعد يومين اتصل به علال)

- علال: السلام عليكم, ليكن في علمك أن سي محمد عزم على شراء الرحى وسيكون عندك غدا.

(جاء يوم الثلاثاء الذي سيأتي فيه سي محمد)

- علال: (يدق باب منزل محمد)

- محمد: السلام عليكم جئت باكرا.

- علال: علينا أن نذهب إلى المقهى وننتظر قدوم سي محمد ورئيسه.

- محمد: (لم يحك له قصة ما وقع له مع رجل الدولة, وبدأ يفكر في الثمن الذي سيطلبونه) أريد بيعها ب ٣٠ مليونا فقط.

- علال: ما هذا الكلام الذي تتفوه به؟ هل أصبت بجنون؟ ضع في حسبانك أن معك نصيبي ونصيب زوجتي التي توقظني كل صباح باكرا كي آتيك في الوقت... ثمن الرحى يبلغ ٣٠٠ أو ٣٥٠ وأنت تطلب هذا الرقم الهزيل. من شوش عليك بهذا؟

- محمد: (وصلا إلى المقهى وطلبا الشاي وجلسا ينتظرانه) والله إني خائف يا علال.

- علال: اترك الأمر لي, أنا من يتحدث الآن وأنا من يبيع وليس أنت.

- محمد: حسنا (وفجأة رن هاتف علال)

- علال: إننا في المقهى المعلوم.

(وبعد برهة من الزمن توقفت سيارة سوداء فاخرة أمام المقهى واتجه إليها محمد وعلال).

- علال: السلام عليكم سي محمد كيف حالكم؟

- سي محمد: بخير والحمد لله, بارك الله فيكم (يجلس أمامه رجل طويل القامة أقرع ذو لحية بيضاء, واضعا على ركبتيه محفظة يبدو عليها أنها ممتلئة بالنقود) هذا رئيسي الذي أشتغل معه وهذا سائقه (مشيرا إليه يبدو عليه أنه شاب وسيم)

- علال: مرحبا, وأهلا وسهلا بكم (وتابع متسائلا) أين سنقوم بعملية البيع؟

- سي محمد: دعنا نقوم أولا بإعادة الفحص.

- محمد: أظن أننا فحصناها غير ما مرة.

- علال: (مشيرا إلى محمد) دع السيد يفعل ما يشاء, الذي يهمنا هو البيع نحن واثقون من البضعة التي نبيعها.

- سي محمد: اصعدا إلى السيارة.

(ولما صعدا إلى السيارة, قاد السائق إلى خارج المدينة حتى ظهر لهم أن المكان خالي من المارة)

- محمد: ها هي الأمانة.

- سي محمد: (أخذ شيئا من صاحبه, ربما هي الأشياء التي سيجرب بها)

- محمد: تفضل

- سي محمد: (بدأ يضع أمامه تلك الأشياء التي سيفحص بها في الفترة التي بقي فيها الرجل الأقرع داخل السيارة) هل غيرتم الرحى؟

- علال: (ينظر إلى محمد)

- محمد: (يبادله النظرة)

- علال: هل غيرت الرحى؟

- محمد: (تغيرت ملامح وجهه ولم يجبه)

- سي محمد: كما ترون كل التجارب باءت بالفشل, يبدو أنكم غيرتم الرحى لأن الرحى التي سبق وأن فعَّلت فيها التجربة كانت هي الرحـــــــــــــــــى المطلوبة في السوق.

- علال: ما المعمول الآن؟

- سي محمد: إذا قبلتم ببعض النقود سأشتريها منكم كي أضعها في متحفي فقط لأنها لا تحتوي على المادة المطلوبة.

- علال: بكم ستشتريها إذن؟

- سي محمد: سأعطيكم ثلاثة آلاف درهم إذا قبلتم, ولا أحد سيعطيكم هذا الثمن.

- علال: ما رأيك؟ (مشيرا إلى محمد)

- محمد: لن أبيعها ولو بعشر ملايين, سأعود بها إلى أمي.

- سي محمد: سأضيف لكم ألفي درهما, ما قولكم؟

- محمد: (واضعا الرحى العجيبة في الكيس) ليست للبيع.

- سي محمد: (عاد إلى السيارة وودعهما ثم غادرت السيارة)

- علال: أترى بأن شيئا غير عادي قد وقع هنا أم أنك أنت من غير الرحى.

- محمد: والله لم يتم تغييرها لا من طرفي ولا من طرف أفراد أسرتي, عندما كان الرجل الذي بقي في السيارة يحرك شفتيه, ربما, كان هو السبب في عدم نجاح التجربة.

- علال: إذن كانا يريدان خداعنا, فالحمد لله الذي نجانا منهم. لكني الآن خائف من أن يكون قد جلب المعدن الذي يوجد بالرحى.

- محمد: غير بعيد ذلك.

(وعندما وصلا إلى منزل ابراهيم قاما بإعادة التجربة فإذا بها ناجحة)

- محمد: الحمد لله, ذلك الساحر كان يريد أخذها مجانا, وبنقود معدودة.

- علال: الحمد لله أنك لم تطعني... دعنا نبحث عمن سيشتريها بدون هذه السرعة.

- محمد: حسبي هذا. لن أبيع الرحى كنت مرتاح البال، حتى ظهرت هذه الرحى التي غيرت حياتي إلى الأسوأ وخسرت عليها كل ما أملك ريثما أبيعها وإلى الآن، ورغم كل المحاولات، لم يتم ذلك.
- علال: أتعي ما تقول؟ هل تريد أن تضيع عليك فرصة الشراء؟ لم القلق يا محمد؟ نقودك في البنك مجموعة احسب هذه الرحى مثل البنك.
- محمد: قلت لك كفى لن أبيعها، سأعيدها إلى أمي.
- علال: (مودعا محمد) فكر في كلامي هذا واتصل بي ريثما أبحث عن أحد آخر.
- محمد: فكرت عندما رأيت ذلك الأصلع يحرك شفتيه.

القرار الأخير

- الأخت: (تتصل ب محمد)
- محمد: ألو ... السلام عليكم أمي، كيف حالك بخير؟
- رقية: نحن بخير يا بني، نريدك أن تكون أنت بخير وعلى خير.
- محمد: الحمد لله والشكر لله. كنت أريد بيع تلك الرحى لكن حدث ما لم يكن في الحسبان يا أمي.
- رقية: روعتني، أخبرني ما الذي حدث؟ هل وقع لك مكروه ما يا بني؟
- محمد: لا تخافي يا أمي، التقينا بالذئاب (وحكى لها ما جرى له).

- رقية: الحمد لله, أنت بصحتك وهذا فضل من الله. عليك أن تعيد تلك الأمانة إلى هنا حتى ننظر ما الذي سنفعله بها.

- محمد: أنا محبط يا أمي بعد كل هذه المحاولات والمعاناة لم أعد قادرا على رؤيتها ولم أعد قادرا على النوم.

صرت يا أمي أتوق إلى نفسيتي التي كنت أنعم بها قبل هذه الرحى التي سلبت مني راحتي.

ما أجمل الهناء يا أمي, وما أجملها تلك اللحظات التي أضع فيها رأسي على المخدة وأنام لتوه, حتى أستيقظ من شدة حرارة الشمس أو استيقظ على ندائك يا أمي أو بصيحات زوجتي التي أهملتها في هذه الأيام... ما أروع تلك الملابس التي كنت أرتديها وأشعر بدفئها.

ما أجمل المقهى الذي كنت أجلس فيه حينا وعندما أغادره أعطي للنادل دراهم معدودة على رؤوس أصابيع اليد الواحدة.

ما أروع ذلك السفر الذي كنت أسافر عندك يا أمي وأجلس إلى أحضانك في أمن وسلام.

..... ***** .....